

الإحسان إلى النفس

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين خير الخلائق أجمعين ، من بُعث رحمة للعالمين ، محمد وآله الطيبين الطاهرين ، واللعنة الدائمة والعذاب الأليم على أعدائهم ، ومنكري فضائلهم من الأولين والآخرين إلى قيام يوم الدين .
قال تعالى : { إِنَّ أَوْلَىٰ حَسَنَتِكُمْ وَأَوْسَرَتَكُمْ إِلَّا أَنْفُسَكُمْ } وَإِنَّ أَسْأَفَ تُمْ فَلَاهَا {

حديثنا في هذا اليوم بعنوان الإحسان إلى النفس ، وانطلاقاً من هذه الآية الكريمة نستظهر بأنَّ أي عمل يقوم به الإنسان ، من الخيرات ، ومن الإحسان إلى الآخرين ، ومن عبادة ، ومن صدقة ، ومن حفظ الجوار ، وغير ذلك من الأعمال الصالحة ، يجد أثارها ونتائجها تعود على نفس الإنسان ، وإن كان بحسب الظاهر أنه أحسن إلى ذلك الفقير ، وساعد ذلك المحتاج ، وأحسن إلى جاره ؛ ولكنه عندما نتعمق نجد أن كل ذلك راجع إلى نفس الإنسان ، { إِنَّ أَوْلَىٰ حَسَنَتِكُمْ وَأَوْسَرَتَكُمْ إِلَّا أَنْفُسَكُمْ } {

وكذلك أيضاً في الجانب الآخر بأن الإنسان إذا أساء إلى الآخرين بظلم وبعثاء من سلب حق ، في الواقع عندما نتأمل وندقق نجد بأنه أساء إلى نفسه ؛ لأنه سوف يرى أثار ذلك يوم القيامة - بما أننا نؤمن بالله سبحانه وتعالى ، ونؤمن باليوم الآخر - لا بد أن يكون في نفوسنا وضائرتنا بأننا إذا أحسنا سوف نرى ذلك ، وإن أسأنا أيضاً سوف نرى ذلك .

وروي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول : « ما أحسنت لأحد قط ، ولا أسأت إلى أحد ، فرفع الناس رؤوسهم تعجباً » - كأنهم يتساءلون ويقولون أنت يا أمير المؤمنين كم لك من الإحسان ، حيث كان يصل الفقراء والمحتاجين ، وكان يحفر الآبار ويقفها في سبيل الله ، فكيف لم تُحسن لأحد قط ؟! - فقرأ قوله تعالى : { إِنَّ أَوْلَىٰ حَسَنَتِكُمْ وَأَوْسَرَتَكُمْ إِلَّا أَنْفُسَكُمْ } وَإِنَّ أَسْأَفَ تُمْ فَلَاهَا {

وهذه هي النظرة العميقة والواسعة لأمير المؤمنين (عليه السلام) ، يقول يا أيها الإنسان أيها المؤمن أنت في الواقع بحسب الظاهر أحسنت إلى الآخرين ، ولكن عندما تتأمل تجد بأنك أحسنت إلى نفسك ؛ لأنه سوف ترى أثار هذا الإحسان وهذا العمل الصالح في يوم القيامة يعود عليك بالنفع .

وكذلك الإساءة بحسب الظاهر ظلمت أحداً ، وأكلت مال شخص ، ولكن عندما ترى أثار ذلك في يوم القيامة

يتبين لك بأنك أسأت لنفسك ، كما يقول تبارك وتعالى : { وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ } ، فهذه النظرة لأمير المؤمنين (عليه السلام) في بيان هذه الآية يدل على عظم علمه ، وعمق ذلك العلم الموجود عند أمير المؤمنين (عليه السلام) .

وأيضاً الذي يدل على هذا - بأن الإنسان إذا أحسن أحسن إلى نفسه - ما ورد أيضاً عن أمير المؤمنين (عليه السلام) ، يقول : (من فعل معروفًا فإنما صنع الخير لنفسه) .

ونلاحظ بأن أهل البيت (عليهم السلام) إذا جاء أحد يسأل منهم العطاء ، من فقير، ومحتاج ، يقلون مرحباً بمن جاءنا ب زادنا إلى الآخرة ، يعني يرون بأن هذا المحتاج ، أو هذا السائل ، فتح لهم باباً من أبواب الخير والعطاء فيستأنسون ؛ لأنهم يرون بأن هذا له أثر حسن لهم في يوم القيامة .

و الإمام الصادق (عليه السلام) استشهد بهذه الآية الكريمة - { إِنِّ أَحْسَنْتُكُمْ أَحْسَنُكُمْ لَأَنفُسِكُمْ } وَإِنِّ أَهْلُ بَيْتِي أَهْلُ بَيْتِهِمْ فَمَنْ أَحْسَنَ إِلَيْكُمْ أَحْسَنَ إِلَيْنَا } - فهم أعرف بالقرآن الكريم ؛ لأن القرآن نزل في بيوتهم فقد ورد عنه (عليه السلام) ، في رسالته إلى أصحابه حيث يقول : (أحسنوا إلى أنفسكم ما استطعتم) ، ثم قرأ قوله تعالى : { إِنِّ أَحْسَنْتُكُمْ أَحْسَنُكُمْ لَأَنفُسِكُمْ } وَإِنِّ أَهْلُ بَيْتِي أَهْلُ بَيْتِهِمْ فَمَنْ أَحْسَنَ إِلَيْكُمْ أَحْسَنَ إِلَيْنَا } .

إذن ما دام أن الإنسان يحسن إلى نفسه ؛ فعليه أن يبادر في عمل الصالحات ، ويبادر في عمل الخيرات ، من صدقة مثلاً ، وعمل صالح ، و عبادة ، وصلة رحم ، وغير ذلك .

وأيضاً هناك آيات أخرى تؤكد على مضمون هذه الآية المباركة كما في قوله تعالى : { وَمَا تَقْدِرُوا لَأَنفُسِكُمْ مِن خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمَ أَجْرًا } .

يعني إذا عمل الإنسان خيراً وعملاً صالحاً يراه يوم القيامة ، وذكر المفسرون أقوالاً في معنى تراه ، فقال البعض ترى ثوابه و ترى أثاره ، والبعض قال ترى نفس العمل يتجسد أمام الإنسان يوم القيامة ، في صورة جميلة إن كان العمل حسناً ، وفي صورة قبيحة إن كان العمل سيئاً ، ويؤيد هذا المعنى ما ورد في قوله تعالى : { وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا } .

□□ للاستماع للكلمة هنا

